الفصل الثاني

ترجيحات الإمام الآلوسي في القراءات

ويشتمل على مبحثين :

- **المبحث الأول :** تعريف القراءات ونشأتها وأسباب اختلافها وفوائد اختلافها وأقسامها ومنهج الإمام الآلوسي فيها .
- **المبحث الثاني :** عرض ودراسة ترجيحات الإمام الآلوسي في القراءات .

المبحث الأول

يشتمل على :

تعريف القراءات ونشأتها وأسباب اختلافها وفوائد اختلافها وأقسامها ومنهج الإمام الآلوسي فيها .

أولاً : تعريف القراءات :

القراءات في اللغة : جمع قراءة وهي ضم الحروف والكلمات إلى بعض في الترتيل وكل شيء جمعته فقد قرأته [١]

وفي الاصطلاح : إختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما . [٢]

وقال الشيخ الزرقاني [٣] في تعريف القراءات :

" مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها " . [٤]

وقال ابن الجزري :

" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها " . [٥]

ثانياً : نشأة القراءات :

القراءات العشر المتواترة ثابتة بأسانيدها عن رسول الله ﷺ [٦]

والصحابة قد اختلف أخذهم عن رسول الله ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابعي التابعين عن التابعين حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها . [٧]

---

(١)- معجم مقاييس اللغة جـ ٥ ، ص ٧٨ ، والمفردات ص ٤٤٥ ، ولسان العرب جـ ٥ ، ص ٣٥٦٣ .

(٢)- البرهان للزركشي جـ ١ ، ص ٣١٨ ، والإتقان للسيوطي جـ ١ ، ص ٢٢٢ .

(٣)- الزرقاني هو محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، من علماء الأزهر الشريف ، تخرج من كلية أصول الدين ودرس بها ، له مناهل العرفان في علوم القرآن ، توفى سنة ١٣٦٧هـ . الأعلام جـ ٦ ، ص ٢١٠ .

(٤)- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ : محمد عبد العظيم الزرقاني جـ ١ ، ص ٣٤٣ .

(٥)- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري جـ ١ ، ص ١٥ ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

(٦)- الإتقان جـ ١ ، ص ٧٥ .

(٧)- مناهل العرفان جـ ١ ، ص ٣٤٣ .

ثالثاً : أسباب اختلاف القراءات :

قال أبو عمرو الداني [١] :

" ووجه الاختلاف في القراءات أن رسول الله كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام عرضة ، فكان جبريل عليه السلام يأخذ عليه في كل عرضة بوجه وقراءة من هذه الأوجه والقراءات المختلفة ولم يلزم أمته حفظها كلها ولا القراءة بأجمعها بل هي مخيرة في القراءة بأي حرف شاءت منها " . [٢]

رابعاً : فوائد اختلاف القراءات :

١ – الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .

٢ – المبالغة في إعجازه بإيجازه إذ تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ .

٣ – بيان ما يحتمل أن يكون مجملاً في قراءة أخرى كقراءة " فامضوا إلى ذكر الله " تبين أن المراد بقراءة " فاسعوا " [٣] الذهاب لا المشي السريع .

٤ – إظهار فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم إذ لم ينزل كتاب غيرهم إلا على وجه واحد .

٥ – إعظام أجرها من حيث أنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه لفظة لفظة حتى مقادير المدات وتفاوت الإمالات وميزوا بين الحروف بالصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم .

٦ – أن اختلافها برهان قاطع وآية واضحة على صدق ما جاء به رسول الله إذ هو مع كثرة الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضا .

٧ – ظهور سر الله تعالى في توليته حفظ كتابه العزيز فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار ، ولو في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله وإتقان حروفه وروايته ، وتصحيح وجوهه ، وقراءته . [٤]

---

(١)- أبو عمرو الداني : هو الإمام الحافظ ، عالم الأندلس أبو عمرو عثمان بن سعيد بن الأموي الأندلسي ، إليه المنتهى في تحرير علم القراءات ، وعلم المصاحف ، مع براعة في علم الحديث والتفسير والنحو وغير ذلك ، توفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة . سير أعلام النبلاء جـ ١٨ ، ص ٧٧ .

(٢)- الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني جـ ١ ، ص ٤٦ ، ط مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ ، تحقيق د / عبد المهيمن طحان .

(٣)- سورة الجمعة آية ٩ .

(٤)- مباحث في علوم القرآن لمناع القطاع ص ١٨١ ، والنشر ، جـ ١ ، ص ٤٨ ، والإتقان جـ ١ ص ٨٢ .

أقسام القراءات

تنقسم القراءات إلى قسمين :

القسم الأول : القراءات الصحيحة والمستعملة : وهي كل قراءة توافر فيها ثلاثة أركان : [١]

أحدهما : وهو عمدتها وعليه مدار صحة القراءة ، وهو صحة السند .

والمقصود بصحة السند أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذلك حتى تنتهي ، وتكون مع ذلك مما عرف واشتهر عند أئمة الشأن الضابطين له ، غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ به بعضهم .

الثاني : موافقة أحد المصاحف العثمانية :

وهي المصاحف التي وجهها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار ، واشترط موافقة أحدها ، لأجل ما كان ثابتاً في بعض المصاحف دون بعض .

جاء في المرشد الوجيز :

" ولعل مرادهم بموافقة خط المصحف ما يرجع إلى زيادة الكلمة ونقصانها فأما ما يرجع فيه إلى الهجاء وتصوير الحروف ، فلا اعتبار بذلك في الرسم فإنه مظنة الاختلاف، وأكثره اصطلاح ، وقد خولف الرسم بالإجماع في مواضع من ذلك كالصلوة والزكوة والحيوة فهي مرسومات بالواو ولم يقرأها أحد على لفظ الواو فليكتف في مثل ذلك بالأمرين الآخرين وهما صحة النقل والفصاحة في لغة العرب " . [٢]

الثالث : موافقة العربية ولو بوجه :

أي موافقتها بأي وجه من الوجوه سواء أكان فصيحاً أم أفصح مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلاف لا يضر مثله ، وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل وفي ذلك يقول صاحب النشر :

" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها " . [٣]

القسم الثاني : القراءات الشاذة :

وهي كل قراءة اختل فيها ركن من أركان القراءة الصحيحة ويدخل تحت مصطلح الشذوذ هنا أنواع من القراءات وهي :

١ ـ **الآحاد :** وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر عند القراء تلك الشهرة التي لم يعد بها من الغلط ولا من الشذوذ .

٢ ـ **المدرج :** وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير .

٣ ـ **الموضوع :** وهو الذي لا أصل له في الرواية . [٤]

---

(١)- النشر في القراءات العشر جـ ١ ، ص ٩ ، والبرهان جـ ١ ، ص ٣٢١ ، والإتقان جـ ١ ، ص ٢١٠ .

(٢)- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز للإمام شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي ص ١٧٢ ، تحقيق طيار قولاج ، ط دار صادر – بيروت ١٣٩٥هـ .

(٣)- النشر جـ ١ ، ص ٩ .

(٤)- الإتقان جـ ١ ، ص ٢١٥.

منهج الإمام الآلوسي في القراءات

القراءات القرآنية لها درجة كبيرة وخصوصية بالغة عند الإمام الآلوسي حيث اهتم بمتواترها وشاذها على السواء وحشد الكثير منها في تفسيره ، فهو ينقل عقب تفسيره للكلمة أو الآية : القراءة أو القراءات التي وردت فيها وينبه على نوعية القراءة من حيث تواترها وفصاحتها أو شذوذها أو من حيث إرجاعها إلى إحدى اللغات المعروفة عند العرب .

أما عن حيث فصاحتها ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [١] يقول : قرأ ابن عامر بضم الراء والباقون بالكسر والكسر أفصح. [٢]

وأما من حيث شذوذها ففي قوله تعالى:﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[٣] فيقول عند قراءة الكسر في ورسوله " وهذه القراءة لعمري موهمه جداً وهي في غاية الشذوذ والظاهر أنها لم تصح " . [٤]

وأما من حيث تواترها فهو يقول مثلاً عند قول تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ ﴾ [٥] " وقطع يقرأ مشدداً أو مخففاً والأول هو المتواتر " . [٦]

وأما من حيث إرجاعها إلى إحدى اللغات المعروفة عند العرب ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [٧] قال مصرخي بكسر الياء نص قطرب على أنها لغة في بني يربوع وهي لغة فصيحة . [٨]

ويفضل أحياناً قراءة على قراءة لأنها أوفق بفواصل الآيات . فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ [٩] قال : وقرأ أبو رجاء " رُشداً " بضم الراء وإسكان الشين والمعنى واحد إلا أن الأوفق بفواصل الآيات قراءة الجمهور . [١٠]

ولا يلتزم الآلوسي رأي جمهور السبعة دائماً ، فقد يختار قراءة واحدة على قراءة الجمهور ، ففي قوله تعالى: ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [١١] قال قرأ أكثر السبعة فعميت بفتح

---

(١)- سورة الأعراف آية ١٣٧ .

(٢)- روح المعاني جـ ٦ ، ص ٦٠ .

(٣)- سورة التوبة آية ٢ .

(٤)- روح المعاني جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٥)- سورة الأعراف آية ١٦٠ .

(٦)- روح المعاني جـ ٦ ، ص ١٢٨ .

(٧)- سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٨)- روح المعاني جـ ٨ ، ص ٣٠٣ .

(٩)- سورة الكهف آية ١٠ .

(١٠)- روح المعاني جـ ٩ ، ص ٣٠٥ .

(١١)- سورة هود آية ٢٨ .

العين وتخفيف الميم مبنياً للفاعل لكنه اختار قراءة التشديد [١] وهو في معالجته لمختلف شؤون القراءات يمشي على قاعدة واحدة ، وهي ترجيح القراءة حتى وإن لم يرد فيها قاعدة ما دامت قد وصلت إلينا عن طريق التواتر ولذلك فإنه شن على الزمخشري هجوماً قوياً ، لأنه أخضع القراءات القرآنية المتواترة لآرائه النحوية ، ورفض كل قراءة تخالف آراؤه التي يعتقد صحتها فهو يرد عليه حينما ضعف قراءة الكسائي في قوله تعالى: ﴿ **إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ** ﴾ [٢] بالإدغام فقال الزمخشري : وليست بالقوية ، وأنت تعلم أن القراءة سنة متبعة ، ويوجد فيها الفصيح والأفصح ، وما أدغم الكسائي إلا عن سماع ، فلا التفات إلى قول أبي علي ، ولا الزمخشري " [٣] ويدافع الآلوسي دفاعاً شديداً عن القراءات ، ويحشد الأدلة على صحتها ويرمي المنكرين من النحاة بالجهل والغفلة ، فرد على أبي عبيد ، والأخفش ، والزجاج ، والزمخشري عند إنكارهم للقراءة الواردة في قوله تعالى " وما أنتم بمصرخي " . [٤]

فيقول : وقد قلد هؤلاء الطاغين جماعة ، وقد وهموا طعناً وتقليداً فإن القراءة متواترة عن السلف والخلف فلا يجوز أن يقال فيها إنها خطأ ، أو قبيحة ، أو رديئة وقد نقل جماعة من العلماء أنها لغة لكنه قل استعمالها . [٥]

ويدخل الآلوسي في مناقشات قوية مع غير هؤلاء من النحاة :

فهو يرد على المبرد الذي شنع على حمزة [٦] أحد القراء السبعة في قراءته " **والأرحام** " [٧] بالكسر فيقول : وأول من شنع على حمزة في هذه القراءة : أبو العباس المبرد حتى قال : لا تحل القراءة بها وتبعه في ذلك جماعة منهم ابن عطية ، ويذكر حجتهم في ذلك ثم يقول : " وأنت تعلم أن حمزة لم يقرأ كذلك من نفسه ، ثم يذكر أقوال العلماء في فضل حمزة ، ثم يقول في نهاية حديثه عن ذلك : فالتشنيع على هذا الإمام في غاية الشناعة ونهاية الجسارة والبشاعة ، وربما يخشى قائله الكفر " . [٨]

إن مرونة الآلوسي اللغوية والنحوية ، وأخذه من جميع المدارس اللغوية جعلته لا يتعصب لرأي معين ، وإنما ينظر في القضية كطالب حق ، ولذلك فإنه يأخذ من الكوفيين

---

(١)- روح المعاني جـ ٧ ، ص ٥٨ .

(٢)- سورة سبأ آية ٩ .

(٣)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ١٦٣ .

(٤)- سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٥)- روح المعاني جـ ٨ ، ص ٣٠٤ .

(٦)- حمزة القاريء : هو حمزة بن حبيب الزيات ، أبو عمارة الكوفي ، أحد القراء السبعة ، أدرك بعض الصحابة ، إليه سارت إمامة القراءة في الكوفة بعد عاصم ، قرأ عليه الكسائي من السبعة ، توفى سنة ١٥٦ هـ . معرفة القراء جـ ١ ، ٩٣ .

(٧)- سورة النساء آية ١ .

(٨)- روح المعاني جـ ٣ ، ص ٢٨٩ .

والبصريين وغيرهم ، فهو يخضع قواعد اللغة العربية للقرآن ، ولا يخضع القرآن لقواعد اللغة العربية ، ومن أقواله في ذلك .

" والإنصاف أنه لا ينبغي تخريج كلام الله تعالى العزيز على ذلك ولو اجتمع الخلق إنسهم وجنهم على مجيء إلا بمعنى الواو [١] أي على مجيء " إلا " بمعنى الواو في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢]

ويظهر من تمسك الآلوسي الشديد بالقراءات أنه يرفض ويرد بعض الروايات المروية عن الشيعة ففي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [٣] يقول " وحكى الطبرسي عن الباقر أنه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين وأظن ذلك من كذب الإمامية عاملهم الله تعالى بعدله . [٤]

ومن تمام كلام الآلوسي في القراءات أنه يحاول أن يقرب بينها .

ففي قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [٥] عرض لجميع القراءات الواردة فيها ، ثم قال في النهاية " وعندي أنه لا ثمرة للخلاف ، والقراءتان فرسا رهان " [٦]

ومن منهجه أيضاً أنه كثيراً ما يختار قراءة معينة ولغة معينة :

فقد اختار قراءة الرفع في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٧] " لدلالة الجملة الاسمية على الثبوت والدوام " . [٨]

ويفضل لغة قريش على لغة الأنصار في قوله تعالى ﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ [٩] فلغة الأنصار بالهاء " التابوه " ولغة قريش بالتاء " التابوت " فيقول : وهو الأولى وهو الذي أمر عثمان رضي الله عنه بكتابته في الإمام . [١٠]

فمن خلال ما سبق لعرض منهج الإمام الآلوسي في القراءات يتضح لنا ما يلي :

أولاً : إهتمامه بنسبة القراءات إلى من قرأ بها .

ثانياً : التنبيه على القراءة من حيث تواترها ، وفصاحتها ، وشذوذها ، ومن حيث إرجاعها إلى اللغات المعروفة عند العرب .

ثالثاً : توجيه القراءات والتعليق عليها ، وتوجيهها لغوياً ، ونحوياً ، وصرفياً .

---

(١)- روح المعاني جـ ٧ ، ص ٢١٣ .

(٢)- سورة يونس آية ٦١ .

(٣)- سورة التحريم آية ٩ .

(٤)- روح المعاني جـ ١٥ ، ص ٢٤٠ .

(٥)- سورة الفاتحة آية ٤ .

(٦)- روح المعاني جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٧)- سورة الفاتحة آية ١ .

(٨)- روح المعاني جـ ١ ، ص ١٢٦ .

(٩)- سورة البقرة آية ٢٤٨ .

(١٠)- روح المعاني جـ ٢ ، ص ٢٥٣ .

رابعاً : ترجيح القراءة المتواترة حتى وإن خالفت القواعد التي وضعها النحاة ورمي المنكرين لها بالجهل والغفلة .

خامساً : عنايته بالمعنى ، وحرصه على توافق القراءات والربط بينها .

وفيما يلي عرض ترجيحات الإمام الآلوسي في مسائل القراءات مع دراستها .

المسألة الأولى

الأصل توافق القراءات لكلمة " يأت "

في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

وقرأ النحويان ونافع (٢) " يأتي " بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً ، (٣) وابن كثير بإثباتها وصلاً ووقفاً وهي ثابتة في مصحف أبي (٤) وقرأ باقي السبعة بحذفها وصلاً ووقفاً ، وسقطت في مصحف عثمان رضي الله عنه (٥) وإثباتها وصلاً ووقفاً هو الوجه ، وقرأ الأعمش " يوم يأتون " بواو والجمع وكذا في مصحف عبد الله (٦) أي يوم يأتي الناس أو أهل الموقف . (٧)

---

(١)- سورة هود الآية ١٠٥ .

(٢)- نافع هو : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو عبد الله المدني ، أخذ القراءة عن أبي جعفر القاري وعن سبعين من التابعين ، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة المنورة ، توفي سنة تسع وستين ومائة وممن اشتهر بالرواية عنه : قالون وورش ، انظر : معرفة القراء جـ ١، ص ١٥٤ .

(٣)- انظر : الدر المصون جـ ٤ ، ص ١٣٠ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ، واللباب جـ ١١ ، ص ٥٦٣ ، والبحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٠٩ ، والسبعة في القراءات لبن مجاهد ص ٣٣٨ ، تحقيق د/ شوقي ضيف ، الطبعة الثانية وقراءة أهل المدينة وأبي عمرو الكسائي في إعراب القرآن للنحاس جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ، وفتح القدير جـ ٢ ، ص ٧٣٠ ، والجامع للقرطبي جـ ٩ ، ص ٩٦ ، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة أحمد بن محمد البنا جـ ٢ ، ص ١٣٥ ، تحقيق د / شعبان إسماعيل ، ط عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٤)- قراءة ابن كثير وأبي في البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٠٩ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ، وقراءة ابن كثير في الدر المصون جـ ٤ ، ص ١٣٠ ، واللباب جـ ١١ ، ص ٥٦٣ ، وقراءة أبي وابن مسعود في إعراب القرآن جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ، وفتح القدير جـ ٢ ، ص ٧٣٠ ، والجامع للقرطبي جـ ٩ ص ٩٦ ، وقراءة ابن كثير ويعقوب في الإتحاف جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(٥)- انظر : البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٠٩ ، واللباب جـ ١١ ، ص ٥٦٣ ، وقراءة عاصم وابن عامر وحمزة في المحرر جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ، والسبعة ص ٣٣٩ ومفاتيح الغيب جـ ١٨ ، ص ٤٨ ، وقراءة الأعمش وحمزة في إعراب القرآن للنحاس جـ ٢ ، ص ٣٠٢ وقراءة الأعمش في فتح القدير جـ ٢ ، ص ٧٣٠ .

(٦)- انظر : البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٠٩ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

(٧)- روح المعاني جـ ٧ ، ص ٢٠٨ .

المعنى الإجمالي للآية :

يوم يأتي يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالى ، فهو صاحب الأمر والنهي ، ولا يملك أحد فيه قولاً ولا فعلاً إلا بإذنه ، فمن أهل الجمع من الناس في ذلك اليوم شقي معذب لكفره وعصيانه ، ومنهم سعيد منعم في الجنان لإيمانه واستقامته . [١]

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر أربعة قراءات لأئمة القراء في قوله " يوم يأت " وهم كالآتي :

القراءة الأولى : إثبات ياء يأتي وصلاً وحذفها وقفاً .

القراءة الثانية : إثبات الياء وصلاً ووقفاً .

القراءة الثالثة : حذف الياء وصلاً ووقفاً .

القراءة الرابعة : " يوم يأتون " بواو الجماعة .

وقد اختار الإمام الآلوسي قراءة إثبات الياء وصلاً ووقفاً وهو بذلك قد خالف القاعدة التي تقول :

(الأصل توافق القراءات)

وذلك أن العلماء انقسموا إلى فريقين في حذف الياء أو إثباتها وكلاً منهما يستند إلى حجة تؤيد رأيه وللوصول إلى الثواب في المسألة نستعرض رأي الفريقين وأدلتهم فكلاً من القراءتين المشهورتين في الآية يستند إلى حجة قوية تؤيدها وهاك البيان :

القراءة الأولى : إثبات الياء وصلاً ووقفاً :

ما ذكره الآلوسي من أن هذه القراءة هي الوجه ذكره غير واحد من المفسرين :

قال السمين الحلبي [٢] :

" وردت يأت في المصاحف بإثباتها وحذفها ، وإثباتها هو الوجه لأنها لام الكلمة وإنما حذفوها في القوافي والفواصل لأنها محل وقوف " . [٣]

وقال الزجاج :

" الأجود في النحو إثبات الياء " . [٤]

وقال أبو السعود :

" قريء بإثبات الياء على الأصل " . [٥]

---

(١)- التفسير المنير جـ ١٢ ، ص ١٥١ .

(٢)- السمين الحلبي : هو أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي ، شهاب الدين أبو العباس المقريء النحوي الشافعي ، نزيل القاهرة المعروف بالثمين قرأ النحو على أبي حيان ، والقراءات على ابن الصائغ وولي تدريس القراءات والنحو بالجامع الطولوني ، من تصانيفه الدر المصون وشرح الشاطبية وغيرها ، مات في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة . طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ، ص ١٠١ .

(٣)- الدر المصون جـ ٤ ، ص ١٣٠ .

(٤)- معاني الزجاج جـ ٣ ، ص ٧٧ .

(٥)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ٢٤١ .

وقال الشهاب الخفاجي :

" كان الأصل إثباتها لأنها لام الكلمة ولا جازم والمعهود حذفها في الفواصل والقوافي لأنها محل وقوف " . (١)

وقال ابن عطية :

" إثباتها في الوجهين هو الأصل ووجه حذفها في الوقف التشبيه بالفواصل ووجه حذفها في الوصل التخفيف " . (٢)

وقال النحاس :

" الوجه في هذا أن لا يوقف عليه وأن يوصل بالياء لأن جماعة من النحويين قالوا لا وجه لحذف الياء ولا يجزم الشيء بغير جازم " . (٣)

وقال أبو حيان :

" إثباتها وصلاً ووقفاً هو الوجه " . (٤)

فقد اتفق بعض المفسرين مع الإمام الآلوسي فيما رجحه من القراءة في هذه الآية باعتبار الأصل ومتمشياً مع القواعد النحوية ، ولكننا نرى أصحاب القراءة الأخرى احتجوا بما يلي :

القراءة الثانية : حذف الياء وصلاً ووقفاً .

احتج أصحاب هذه القراءة بأن حذف الياء موجود في لغة هذيل وهي من أفصح لغات العرب ، فيقال : لا أدر من غير عامل يجزم الفعل ويحذف الياء .

قال الزمخشري :

" والاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل " . (٥)

وقال الفراء :

" كل ياء ساكنة وما قبلها مكسور أو واو ساكنة وما قبلها مضموم فإن العرب تحذفها وتجتزيء بالكسرة من الياء والضمة من الواو " . (٦)

وقال الإمام الطبري :

" الصواب من القراءة في ذلك عندي " يوم يأت " بحذف الياء في الوصل والوقف إتباعا لخط المصحف وأنها لغة معروفة لهذيل تقول ما أدر " . (٧)

---

(١)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١٣٦ .

(٢)- المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

(٣)- إعراب القرآن للنحاس جـ ٢ ، ص ٣٠٢ .

(٤)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٠٩ .

(٥)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٦)- معاني الفراء جـ ٢ ، ص ٢٧ .

(٧)- جامع البيان جـ ١١ ، ص ١٥١ .

وقال الزجاج :

" والذي أراه إتباع المصحف مع إجماع القراء لأن القراءة سنة وقد جاء مثله في كلام العرب " . (١)

وقال ابن الجوزي :

" والذي في المصحف وعليه أكثر القراءات بكسر التاء وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً " . (٢)

قال الإمام أبو زهرة :

" ولا يقال ما قاله الجهلاء إن القرآن خالف النحو وذلك لأمرين :

الأمر الأول : إن الكسر إنباء عن وجود الياء وإن لم ينطق بها ليكون ذلك خفيفاً على اللسان ووافق لغة من لغات العرب الفصيحة .

الأمر الثاني : أن النحو تشتق قوته من القرآن والقرآن فوقه (٣)

فمن قرىء بإثبات الياء جعلها على الأصل وهو الذي اختاره النحاة ومن حذفها جعل ذلك تخفيفاً وموافقاً لاستعمال العرب .

قال الشهاب الخفاجي :

" يوم يأت " رسمت في المصاحف العثمانية بالوجهين على القرآتين واللغتين " (٤)

وعلى هذا فلا داعي لترجيح قراءة على الأخرى عملاً بتوافق القراءات أولى من تخالفهما.

---

(١)- معاني الزجاج جـ ٣ ، ص ٧٧ .

(٢)- زاد المسير جـ ٤ ، ص ١٥٨ .

(٣)- زهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٧٥٣ .

(٤)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١٣٦ .

المسألة الثانية
الفصيح قراءة " ادكر " بالدال

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" وادكر " بالدال غير المعجمة عند الجمهور (٢) وأصله إذ تكر أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال فيها . وقرأ الحسن ، اذكر بإبدال التاء ذالاً معجمة وإدغام الذال المعجمة فيها (٣) والقراء الأولى أفصح . (٤)

المعنى الإجمالي للآية :

تذكر الذي نجا من الموت من صاحبي يوسف في السجن ، وهو الساقي الذي رأى أنه يعصر خمراً وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه ، وتذكر يوسف وما جرى له في تعبيره لرؤياهما ، وما وصاه به ، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين، فقال للملك والملأ الذين جمعهم حوله أنا أخبركم بتأويل هذا المنام فأرسلوني إلى يوسف لأسأله عنه . (٥)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر قراءتين لأئمة القراء في قوله " وادكر " وهما :

القراءة الأولى : قراءة " ادكر " بالدال غير المعجمة .

القراءة الثانية : قراءة " اذكر " بالذال المشددة .

ثم اختار قراءة " ادكر " بالدال لأنها الأفصح وهذا الاختيار من الإمام هو عين الصواب لتواتر قراءة الجمهور معتمداً على القاعدة الآتية .

(معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة)

---

(١)- سورة يوسف الآية ٤٥ .

(٢)- انظر : البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٨٤ ، والدر المصون جـ ٤ ، ص ١٨٨ ، وحاشية زاده جـ ٥ ، ص ٤٢ ، واللباب جـ ١٢ ، ص ١١٩ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد لحسين بن أبي العز الهمذاني المتوفى ٦٤٣هـ جـ ٣ ، ص ٧١ تحقيق د / فهمي حسن النمر د / فؤاد علي مخيمر ، ط دار الثقافة – الدوحة ، وفتح البيان جـ ٣ ، ص ٤٢٤ ، وفتح القدير جـ ٣ ، ص ٤٤ .

(٣)- انظر : الإتحاف جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، ومفاتيح الغيب جـ ٨ ، ص ١١٩ ، والدر المصون جـ ٤ ، ص ١٨٨ ، وزاد المسير جـ ٤ ، ص ٢٣١ ، والكشاف جـ ٣ ، ص ٢٥٩ ، والبحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٨٤ ، وإرشاد العقل السليم جـ ٤، ص ٢٨١ ، وبدون نسبة في فتح القدير جـ ٣ ، ص ٤٤ .

(٤)- روح المعاني جـ ٧ ، ص ٣٨٠ .

(٥)- تيسير الكريم الرحمن جـ ٢، ص ٤٣١ .

قال أبو جعفر النحاس [١] **:**

" الأصل في ادكر اذتكر والذال قريبة المخرج من التاء ، ولم يجز إدغامها فيها لأن الذال مجهورة والتاء مهموسة فلو أدغموا ذهب الجهر فأبدلوا من موضع التاء حرفاً مجهوراً وهو الدال وكان أولى من الطاء لأن الطاء مطبقة فصار إذ دكر فأدغموا الذال في الدال فصار ادّكر " . [٢]

وهذا أفصح الإبدال في ادّكر وما رجحه الآلوسي رجحه معه كثير من المفسرين منهم : الزمخشري في الكشاف قال :

" ادكر بالدال هو الفصيح " . [٣]

وقال الزجاج :

" الأجود الدال " . [٤]

وقال الهمذاني في الفريد :

" الجمهور على الدال في قوله " وادكر " وهو الكثير الشائع " . [٥]

وقال الشوكاني :

" وادكر بالدال المهملة على قراءة الجمهور وهي القراءة الفصيحة " . [٦]

وقال أبو السعود :

" وادكر بغير المعجمة هو الفصيح " . [٧]

وقال صديق خان :

" وادكر بالدال على قراءة الجمهور وهي الفصيحة " . [٨]

من هنا كان اختيار الإمام هو الصواب لتواتر قراءة الجمهور وشذوذ قراءة الحسن وأيضاً هي قراءة النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [٩] كما ورد في صحيح البخاري عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود فهل من مدكر أو مذكر ؟ فقال سمعت عبد الله يقرؤها " فهل من مدكر " وقال " سمعت النبي يقرؤها فهل من مدكر دالاً " . [١٠]

---

(١)- النحاس هو : إمام العربية المصري النحوي أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس أبو جعفر النحاس ، رحل للعراق وسمع من الزجاج وأخذ عنه النحو ، وقرأ عليه في كتاب سيبويه ، اشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب من مصنفاته إعراب القرآن ، الناسخ والمنسوخ وغيرهما ، وتوفى بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ، ص ٦٨ ، وسير أعلام النبلاء جـ ١٥ ، ص ٤٠١ .

(٢)- إعراب النحاس جـ ٢، ص ٣٣١ .

(٣)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٤)- معاني الزجاج جـ ٣ ، ص ١١٣ .

(٥)- الفريد في إعراب القرآن جـ ٣ ، ص ٧١ .

(٦)- فتح القدير جـ ٣ ، ص ٤٤ .

(٧)- إرشاد العقل السليم جـ ٤ ، ص ٢٨١ .

(٨)- فتح البيان جـ ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٩)- سورة القمر آية ١٥ .

(١٠)- انظر : فتح الباري جـ ٨ ، ص ٤٨٤ ، كتاب التفسير باب " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " رقم الحديث ٤٨٧١ .

المسألة الثالثة
اختيار قراءة الجمهور لكلمة يصدون

في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

وقرأ الحسن ويصدون (٢) من أصد المنقول من صده صدوداً إذا تنكب وحاد وهو ليس بفصيح بالنسبة إلى القراءة الأخرى لأن في صده مندوحة عن تكلف النقل ولا محذور في كون القراءة المتواترة أفصح من غيرها . (٣)

المعنى الإجمالي للآية :

وصف سبحانه الكافرين بصفات ثلاث هي :

١ – أنهم يطلبون الدنيا ويعملون لها ويتمتعون بلذاتها ويؤثرون ذلك على أعمال الآخرة .

٢ – ويمنعون من تتجه عزائمهم إلى الإيمان بالله وإتباع رسوله فيما جاء به من عند ربه ، أن يؤمنوا به ويتبعوه .

٣ – ويطلبون لها الزيغ والعوج وهي أبعد ما تكون عن ذلك ، فيقولون لمن يريدون صدهم وإضلالهم عن سبيل الله ودينه : إن ذلك الدين ناءٍ عن الصراط المستقيم وزائغ عن الحق واليقين .

وقد حكم سبحانه على الكافرين بما يستحقون بأنهم باختيارهم لأنفسهم حب العاجلة، وصدهم عن الدين في ضلال بعيد عن الحق لا يرجى لهم فلاح . (٤)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر قراءتين لكلمة " يصدون " وهما :

القراءة الأولى : يصدون بفتح الياء وضم الصاد وهي قراءة الجمهور (٥)

القراءة الثانية : يصدون بضم الياء وكسر الصاد .

وقد اختار الإمام قراءة الجمهور بفتح الياء وضم الصاد لتواترها ولتقويها بالقاعدة الآتية :

(معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة)

---

(١)- سورة إبراهيم الآية ٣ .

(٢)- انظر : قراءة الحسن بضم الياء وكسر الصاد في الكشاف جـ ٢ ، ص ٢٩٢ ، والإتحاف جـ ٢ ، ص ١٦٦ ، والبحر المحيط جـ ٦ ، ص ٤٠٨ ، والدر المصون جـ ٤ ، ص ٢٥١ ، واللباب جـ ١١ ، ص ٣٣٣ ، وحاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ٢٥١ ، وزهرة التفاسير جـ ٨ ، ص ٣٩٨٤ ، وبدون نسبة في الفريد جـ ٣ ، ص ١٤٧ ، وإرشاد العقل السليم جـ ٥ ، ص ٣١ .

(٣)- روح المعاني جـ ٨ ، ص ٢٦٥ .

(٤)- تفسير المراغي جـ ١٣ ، ص ١٢٥ بتصرف .

(٥)- انظر : الفريد جـ ٣ ، ص ١٤٧ .

وما رجحه الآلوسي هو الراجح :

لأن الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ، فتعدية صد بنفسه فصيحة كثيرة في الاستعمال .

قال الإمام أبو السعود :

" هو من صده صداً وفي صده مندوحة عن تكلف النقل ، أما يصدون من أصد المنقول من صد صدوداً إذا نكب فهو غير فصيح " . (١)

وقال الهمذاني في الفريد :

" الجمهور على فتح يائه وضم الصاد وقريء ويصدون بضم الياء وكسر الصاد ، والهمزة داخلة على صد صدوداً لينقله من غير التعدي إلى التعدي ، وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه ، وليست بفصيحة ، كأوقفه ، لأن الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة " (٢)

وقال الزمخشري :

" إن الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة " (٣)

وقال البيضاوي :

" قريء ويصدون من أصده وهو منقول من صد صدوداً إذا تنكب وليس فصيحاً". (٤)

وقال الشهاب الخفاجي :

" ولا محذور في كون القراءة المتواترة أفصح من غيرها لأن في صده مندوحة أي سعة عن التعدية بالهمزة لأن تعدية صد بنفسه فصيحة كثيرة في الاستعمال " (٥)

وعلى هذا فما رجحه الآلوسي هو الراجح لتواتر قراءة الجمهور وشذوذ ما عداها .

---

(١)- إرشاد العقل السليم جـ ٥ ، ص ٣١ .

(٢)- الفريد جـ ٣ ، ص ١٤٧ .

(٣)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٢٩٢ .

(٤)- تفسير البيضاوي جـ ١ ، ص ٥١٢ .

(٥)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ٢٥١ .

المسألة الرابعة
الرد على من يخطئون قراءة الكسر لكلمة " مصرخي "

في قوله تعالى:﴿ فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **وما أنتم بمصرخي** " قرأ يحيى بن وثاب (٢) والأعمش وحمزة " بمصرخي " بكسر الياء على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين (٣) وذلك أن الأصل بمصرخين لي فأضيف وحذفت نون الجمع للإضافة فالتقت ياء الجمع الساكنة وياء المتكلم والأصل فيها السكون فكسرت لالتقاء الساكنين وأدغمت . وطعن في هذه القراءة كثير من النحاة ، قال الفراء : لعلها من زعم القراء فإنه قل من سلم منهم من الوهم . (٤) وقال أبو عبيد (٥) : نراهم غلطوا ، وقال الأخفش : ما سمعت هذا الكسر من أحد من العرب ولا من أحد من

---

(١)- سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

(٢)- يحيى بن وثاب : الإمام القدوة المقرىء ، الفقيه ، شيخ القراء ، الأسدي ، الكاهلي الكوفي ، أحد الأئمة الأعلام تلا على أصحاب علي وابن مسعود حتى صار اقرأ أهل زمانه قال الذهبي : حدث عن ابن عباس وابن عمر وروى مرسلاً عن عائشة وأبي هريرة روى له البخاري ومسلم والترمذي ، قال أبو عمرو الداني : أخذ يحيى بن وثاب القراءة عن علقمة ومسروق والأسود ، وقال الهيثم بن عدي وغيره : مات يحيى بن وثاب سنة ثلاث ومائة ، انظر : سير أعلام النبلاء جـ ٤ ، ص ٤٧٩ ، والثقات جـ ٥ ، ص ٥٢٠ .

(٣)- انظر : المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٣٣٤ ، والبحر المحيط جـ ٦ ، ص ٤٢٨ ، ومفاتيح الغيب جـ ١٩ ، ص ٩٠ ، وإعراب النحاس جـ ٣ ، ص ٣٦٨ ، وزاد في الإتحاف حمران بن أعين جـ ٢ ، ص ١٦٧ وهي قراءة حمزة والأعمش في معاني الزجاج جـ ٣ ، ص ١٥٩ ، وفتح القدير جـ ٣ ، ص ١٤٧ ، وشرح طيبة النشر في القراءات العشر للإمام شهاب الدين أبي بكر أحمد بن الجزري ص ٢٥٨ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، والجامع للقرطبي جـ ٩ ، ص ٣٥٧ ، والدر المصون جـ ٤ ، ص ٢٦١ ، وقراءة حمزة في زاد المسير جـ ٤ ، ص ٣٥٧ ، وغرائب القرآن جـ ٤ ، ص ١٨٩ ، ومجمع البيان جـ ٥ ، ص ٤٠٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي الشافعي المتوفى ٣٧٠هـ ، ط ، ص ٣٣٥ تحقيق الدكتور / عبد الرحمن بن سليمان العثيمين الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٤)- معاني الفراء جـ ٢ ، ص ٧٦ .

(٥)- أبو عبيد : الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله ، قال ابن سعد : كان أبو عبيد مؤدباً صاحب نحو وعربية ، وطلب الحديث والفقه ، ولي قضاء طرسوس أيام الأمير ثابت بن نصر الخزاعي ، قدم بغداد ففسر بها غريب الحديث وصنف كتباً وحدث وحج ، فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين ، قال الحسن بن سفيان : سمعت بن راهويه يقول : نحن نحتاج إلى ابن عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا وقال الداني : هو إمام أهل دهره في جميع العلوم ثقة ، ولد سنة خمسين ومائة وتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين ، انظر : سير أعلام النبلاء جـ ١١ ، ص ٤٩٠ ، ومعرفة القراء الكبار جـ ١ ، ص ٢١٧٠ وطبقات الحفاظ جـ ١ ، ص ١٨٢ .

النحويين [١] وقال الزجاج : إنها عند الجميع رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف[٢] وقال الزمخشري : هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول:

قال لها هل لك يا تافي قالت له ما أنت بالمرضي [٣][٤]

وقد قلد هؤلاء الطاغين جماعة ، وقد وهموا طعناً وتقليداً فإن القراءة متواترة عن السلف والخلف فلا يجوز أن يقال فيها : إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة ، وقد نقل جماعة من العلماء أنها لغة لكن قل استعمالها ، وبالجملة لا ريب في صحة تلك القراءة وهي لغة فصيحة وقد روي أنه تكلم بها رسول الله في حديث بدء الوحي [٥] وشرح حاله عليه الصلاة والسلام لورقة بن نوفل فإنكارها محض جهالة . [٦]

المعنى الإجمالي للآية :

هذه الآية تعرض حواراً بين الشيطان وأتباعه ومزية هذا الحوار أنه يبعث الحياة والحركة في المشهد ، يجعل الغائب حاضراً ، ويعرض أمام الإنسان موقفاً سيأتي يوم القيامة ، بلغة الحديث عن الماضي كأنه مشاهد ملموس .

أي قال إبليس لما قضى الأمر وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واستقر بكل فريق منهم قرارهم ، إن الله وعدكم أيها الأتباع النار ، ووعدتكم النصرة فأخلفتكم وعدي ، ووفي الله لكم بوعده ، وما كان لي عليكم فيما وعدتكم من النصرة من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله فاستجبتم لدعائي فلا تلوموني ولكن لوموا أنفسكم ما أنا بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال ولا أنتم بمغيثي من

---

(١)- معاني الأخفش جـ ٢ ، ص ٥٩٩ .

(٢)- معاني الزجاج جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(٣)- البيت للأغلب العجلي : انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي جـ ٢ ، ص ٢٥٧ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، معاني الفراء جـ ٢ ، ص ٧٦ ، إعراب النحاس جـ ٢ ، ص ٣٦٩ ، والدر المصون جـ ٤ ، ص ٢٦٢ والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن أبي طالب جـ ٢ ، ص ٢٦ ، تحقيق د / محي الدين رمضان ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٣٠ .

(٥)- يقصد الآلوسي بحديث بدء الوحي قوله عليه الصلاة والسلام " أو مخرجي هم " البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله جـ ١ ، ص ٤ ، رقم ٣ ، وكتاب التفسير : باب التفسير سورة " اقرأ باسم ربك الذي خلق " جـ ٤ ، ص ١٨٩٤ رقم ٤٦٧٠ ، تحقيق د / مصطفى ديب البغا ، طبعة دار ابن كثير – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ومسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله جـ ١ ، ص ١٣٩ ، رقم ١٦٠ .

(٦)- روح المعاني جـ ٨ ، ص ٣٠٣ .

عذاب الله ، إني برئت اليوم من إشراككم إياي مع الله في الدنيا ، وإن الكافرين لهم عذاب أليم من الله موجع . (١)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر قراءة حمزة لكلمة " مصرخي " بالكسر ويرد على من خطأ هذه القراءة بأنها متواترة وكانت قاعدته في الرد عليهم **(إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها وهي بمنزلة آية مستقلة)**

فقد ذكر العلماء توجيهات لقراءة الكسر هي كالآتي :

أولاً : أن الكسر على أصل التقاء الساكنين وذلك أن ياء الإعراب ساكنة وياء المتكلم أصلها السكون فلما التقيا كسرت لالتقاء الساكنين . (٢)

ثانياً : أنها تشبه هاء الضمير في أن كلاً منهما ضمير على حرف واحد وهاء الضمير توصل بواو إذا كانت مضمونة ، وبياء إذا كانت مكسورة ، ويكسر بعد الكسرة والياء الساكنة فتكسر كما تكسر الهاء في " عليه ". (٣)

ثالثاً : نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة لكنه قل استعمالها ، ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع (٤) وقد حسنها أبو عمرو بن العلاء وهو علم من أعلام القرآن ، واللغة ، والنحو. (٥)

رابعاً : أنه كسرها إتباعاً للكسرة التي بعدها وهي كسرة الهمزة كما قرأ بعضهم الحمد لله بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام بعدها. (٦)

خامساً : أن المسوغ لهذا الكسر في الياء أنها لما أدغمت فيها التي قبلها قويت بالإدغام فأشبهت الحروف الصحاح فاحتملت الكسر لأنه إنما يستثقل فيها إذا حذفت وانكسر ما قبلها. (٧)

وقد نقل كثير من المفسرين أقوال من يخطئون قراءة الكسر وردوا عليهم :

قال أبو حيان :

" وما ذهب إليه من ذكرنا من النحاة (٨) لا ينبغي أن يلتفت إليه ، فلا يجوز أن يقال فيها إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة لكنه قل استعمالها ،

---

(١)- انظر : جامع البيان للطبري جـ ١٤ ، ص ٢٦٢ بتصرف .

(٢)- حاشية زاده جـ ٥ ، ص ١٦٠ .

(٣)- الدر المصون جـ ٤ ، ص ٢٦٤ .

(٤)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٤٢٩ .

(٥)- اللباب جـ ١١ ، ص ٣٧١ .

(٦)- الفريد في إعراب القرآن جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(٧)- الدر المصون جـ ٤ ، ص ٢٦٤ .

(٨)- هم الفراء والزجاج والزمخشري .

وقال القاسم بن معن وهو من رؤساء النحويين الكوفيين : هي صواب ، وسأل حسين الجعفي [١] أبا عمرو بن العلاء [٢] فقال : هي جائزة " . [٣]

وقال الطاهر بن عاشور :

" والذي يظهر لي أن هذه القراءة قرأ بها بنو يربوع من تميم ، وبنو عجل ابن لجيم من بكر بن وائل ، فقرأوا بلهجتهم أخذاً بالرخصة للقبائل أن يقرأوا القرآن بلهجاتهم وهي الرخصة التي أشار إليها قول النبي ﷺ **" إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه "** [٤] واستقر الأمر على قبول كل قراءة صح سندها ووافقت وجها في العربية ولم تخالف رسم المصحف الإمام ،وهذه الشروط متوفرة في قراءة حمزة هذه فقصارى أمرها أنها تنزل منزلة ما ينطق به أحد فصحاء العرب على لغة بعض قبائلها " . [٥]

وقال القرطبي :

" والذي يغني عن هذا أن ما يثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز أن يقال فيه هو خطأ أو قبيح أو رديء ، بل هو في القرآن فصيح " . [٦]

وقال الشهاب الخفاجي :

" وقد طعن في هذه القراءة الزجاج والفراء والزمخشري وهو وهم منهم فإنها قراءة متواترة عن السلف والخلف فلا يجوز أن يقال أنها خطأ أو قبيحة فلا عبرة بمن

---

(١)- حسين الجعفي : يكني أبا عبد الله ، كان من العلماء العباد ، وكان سفيان الثوري إذا رآه عانقه ، قال أحمد بن حنبل : ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي ، روي عن حمزة الزيات وقرأ عليه ، كان إماماً ثقة حافظاً محدثاً ، وكان سفيان بن عيينة يعظمه ، توفي في ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين . ، انظر : تهذيب التهذيب جـ ٢ ، ص ٣٠٨ ، والعبر في خبر من غبر للإمام الذهبي تحقيق د / صلاح الدين المنجد جـ ١ ، ص ٣٣٩، ط حكومة الكويت سنة ١٩٤٨م الطبعة الثانية ، والتاريخ الكبير جـ ٢ ، ص ٢٣٨١ .

(٢)- أبو عمرو بن العلاء : هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازني ، أحد القراء السبعة المشهورين ، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة ، أخذ عن جماعة من التابعين وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد وروى عن أنس وعطاء وطائفة ، قال أبو عبيدة أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر ، مات سنة أربع وخمسين ومائة . بغية الوعاة جـ ٢ ، ص ٢٣١ .

(٣)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٤٢٩ .

(٤)- صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه جـ ١ ، ص ٥٦٠ ، رقم ٢٧٠ ، و فتح الباري كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف جـ ٨ ، ص ٦٣٨ ، رقم ٤٩٩٢ .

(٥)- التحرير والتنوير جـ ١٣ ، ص ٢٢١ .

(٦)- الجامع للقرطبي جـ ٩ ، ص ٣٥٧ .

أنكرها ويعلم صحة هذه القراءة وانها لغة فصيحة وقد تكلم بها رسول الله في حديث بدء الوحي فلا وجه لإنكارها " . [١]

وقال ابن خالويه :

" حمزة ليس لاحناً عندنا لأن الياء حركتها حركة بناء لا حركة إعراب والعرب تكسر لالتقاء الساكنين وكان حمزة إماماً " . [٢]

وقال البنا في الإتحاف :

" قرأ حمزة بكسر الياء ووافقه الأعمش لغة بني يربوع وأجازها قطرب وإمام النحو واللغة والقراء أبو عمرو بن العلاء وهي متواترة صحيحة والطاعن فيها غالط قاصر ونفي النافي لسماعها لا يدل على عدمها فمن سمعها مقدم عليهم إذ هو مثبت " . [٣]

وأما وجه ذلك من القياس :

أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جر ، فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما ، وكالكاف في أكرمتك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا لهو وضربهو ولحق الكاف أيضاً الزيادة في قول من قال : أعطيتكاه وأعطيتكيه ، وهما أختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة من المد فقالوا : في ثم حذفت الياء الزائدة على الياء كما حذفت الزيادة من الكاف فقيل أعطيتكه كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء كما حذفت من أختيها وأقرن الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة ، فإن كان كذلك لم يجز لقائل أن يقول أن القراءة بذلك لحن لاستقامة ذلك في السماع والقياس ، وما كان كذلك لا يكون لحناً [٤] وبذلك يتضح أن الكسرة قراءة ولغة من لغات العرب فلا حجة لمن خطأ قراءة الكسر حيث ثبتت أنها قراءة متواترة والمتواتر مقطوع به .

---

(١)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ٢٦٤ .

(٢)- إعراب القراءات السبع جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

(٣)- الإتحاف جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٤)- [illegible] جـ ٣ ، ١٥٩ .

المسألة الخامسة

الأبلغ في القراءات الواردة لكلمة " يهدي " ضم الياء وفتح الدال في قوله تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **فإن الله لا يهدي من يضل** " أي إن تحرص على هداهم لم ينفع حرصك شيئاً فإن الله تعالى لا يهدي من يضل (٢) ومن على هذا مفعول يهدي ، وقيل : إن يهدي مضارع هدى بمعنى اهتدى فهو لازم " ومن " فاعله وضمير الفاعل في يضل لله تعالى ، وقد حكى مجيء هدى بمعنى اهتدى الفراء (٣) ، وقرأ غير واحد من السبعة (٤) والحسن والأعرج (٥) ومجاهد وابن سيرين (٦) والعطاردي (٧) ومزاحم الخرساني وغيرهم : " لا

---

(١)- سورة النحل الآية ٣٧ .

(٢)- قراءة يهدي بفتح الياء وكسر الدال هي قراءة حمزة وعاصم والكسائي وخلف في الإتحاف جـ ٢ ، ص ١٨٤ ، والتحرير والتنوير جـ ١٣ ، ص ١٥٢ ، وقراءة حمزة وعاصم والكسائي في الجواهر الحسان جـ ٢ ، ص ٢٢٧ ، وأضواء البيان جـ ٣ ، ص ٢٧٠ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٩٥٢ و زاد المسير جـ ٤ ، ص ٤٤٦ ، وقراءة ابن مسعود وابن المسيب في البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٥٢٩ وابن مسعود وأهل الكوفة في الجامع للقرطبي جـ ١٠ ، ص ١٠٤ ، والكشف جـ ٢ ، ص ٣٧ .

(٣)- معاني القرآن للفراء جـ ٢ ، ص ٩٩ .

(٤)- هي قراءة ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع وغيرهم ، انظر : أضواء البيان جـ ٣ ، ص ٢٧٠ ، وشرح طيبة النشر ص ٢٦١ ، والبحر المحيط جـ ٦ ، ص ٥٢٩ ، وزاد في التحرير أبو جعفر ويعقوب جـ ١٣ ، ص ١٥٢ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٣٩٢ ، وزاد المسير جـ ٤ ، ص ٤٤٦ .

(٥)- الأعرج هو : الإمام الحافظ الحجة المقرىء أبو داود عبد الرحمن بن هرمز المدني الأعرج ، أخذ القراءة عن أبي هريرة وابن عباس وابن أبي ربيعة وأكثر من أخذ السنن عن أبي هريرة وغيره ، وحدث عنه الزهري وابن كيسان وطائفة سواهم ، جود القرآن وأقراه وكان يكتب المصاحف ، اتفق على أن الأعرج سافر في آخر عمره إلى مصر ومات مرابطاً بالإسكندرية سنة سبع عشرة ومائة وقد جاوز الثمانين . معرفة القراء الكبار جـ ١ ، ص ١٨٠ ، سير أعلام النبلاء جـ ٥ ، ص ٦٩ .

(٦)- ابن سيرين : هو محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، إمام وقته ، روي عن أنس وزيد بن ثابت وآخرون ، وروى عنه الشعبي وقتادة وآخرون ، قال ابن معين ثقة وقال ابن سعد كان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً كثير العلم ورعاً ، مات وهو ابن سبع وسبعين سنة ، تهذيب التهذيب جـ ٩ ، ص ١٩٠ .

(٧)- العطاردي : هو الإمام الكبير عمران بن ملحان التميمي البصري من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد فتح مكة ولم يرى النبي ﷺ ، أخذ القراءة عن ابن عباس وتلقن من أبي موسى الأشعري ، وكان خيراً تلاءاً لكتاب الله ، مات سنة خمس ومائة وله أزيد من مائة وعشرين سنة ، واجتمع في جنازته الحسن البصري والفرزدق . معرفة القراء الكبار جـ ١ ، ص ١٥٣ ، وسير أعلام النبلاء جـ ٤ ، ص ٢٥٣ .

يهدي " بالبناء للمفعول [١] فمن نائب الفاعل والعائد وضمير الفاعل كما مر ، وهذه القراءة أبلغ من الأولى لأنها تدل على أن من أضله الله تعالى لا يهديه كل أحد بخلاف الأولى فإنها تدل على أن الله تعالى لا يهديه فقط وإن كان من لم يهد الله فلا هادي له ، وقرأت فرقة منهم عبد الله " لا يهدي " بفتح الياء وكسر الهاء والدال وتشديدها وقرأت فرقة أخرى " لا يُهدي " بضم الياء وكسر الدال قال ابن عطية : وهي ضعيفة [٢] وتعقبه في البحر بأنه إذا ثبت هدى لازماً بمعنى اهتدى لم تكن ضعيفة لأنه أدخل على اللازم همزة التعدية [٣] فالمعنى لا يجعل مهتدياً من أضله . [٤]

المعنى الإجمالي للآية :

هذه الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيها تهدئة لخاطره ، وتطميناً لنفسه ، وقد كان حريصاً على هداية قومه ، راغباً في إيمانهم ، بيد أنهم آثروا الضلالة ، فإن تحرص أيها الرسول الكريم على هداية قومك لا ينفعهم حرصك إذا كان الله يريد إضلالهم بسوء اختيارهم وتوجيه عزائمهم ، إلى عمل المعاصي والإشراك بربهم فمن اختار الضلالة ووجه همته إلى تحصيل أسبابها فالله سبحانه لا يخلق فيه الهداية قسراً وجبراً لأن مدار الإيمان والكفر الاختيار لا الاضطرار . [٥]

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر أربع قراءات لأهل العلم في كلمة " يهدي " وهم كالآتي :

القراءة الأولى : قراءة " يَهدي " بفتح الياء وكسر الدال .

القراءة الثانية : قراءة " يُهدَي " بضم الياء وفتح الدال .

القراءة الثالثة : قراءة " يَهدّي " بفتح الياء وكسر الهاء والدال وتشديدها .

القراءة الرابعة : قراءة " يُهدِي " بضم الياء وكسر الدال .

وقد اختار الإمام الآلوسي قراءة " يُهدَي " بضم الياء وفتح الدال ولعله في ذلك اعتمد على القاعدة الآتية :

(يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر) .

قال الإمام الطبري :

" قرأ عامة قراء المدينة والشام والبصرة " فإن الله لا يُهدَي " بضم الياء وفتح الدال بمعنى : من أضله الله فلا هادي له . وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب لأن يَهْدي بمعنى يهتدي قليل في كلام العرب غير مستفيض ، وأنه لا فائدة في قول قائل

---

(١)- انظر : البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٥٢٩ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٣٩٢ .

(٢)- المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٣٩٢ .

(٣)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٥٢٩ .

(٤)- روح المعاني جـ ٨ ، ص ٢٠٦ .

(٥)- انظر : تفسير المراغي جـ ١٣ ، ص ٨١ ، وتفسير القرآن الكريم د / عبد الله شحاتة جـ ١٤ ، ص

من أضله الله فلا يهديه ، لأن ذلك مما لا يجهله أحد . وإذ كان ذلك كذلك ، فالقراءة بما كان مستفيضاً في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى" . [١]

فقراءة يُهدي بضم الياء أبلغ فإنه يدل على أن من أضله الله وخذله لا تمكن هدايته لكل هاد بخلاف القراءة الأولى فإنها تدل على نفي هداية الله فقط وإن كان من لم يهد الله فلا هادي له . [٢]

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ**﴾ [٣] وقوله: ﴿ **فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ** ﴾ [٤] أي من بعد إضلال الله تعالى إياه وهو أبلغ في نفي الهداية عنه[٥] واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم على معنى من أضله الله لم يهده هاد [٦]

فالمعنى على قراءة البناء للمفعول : لا تقدر أنت ولا أحد على هداية من أضله الله فلن يكون مهدياً منصوراً ويعضد هذا المعنى قراءة أبي بن كعب : " فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل " أي إذا أضل الله عبداً لا يهديه أحد . [٧]

وعلى هذا فما رجحه الآلوسي من قراءة البناء للمفعول ليهدي هو الراجح .

---

(١)- جامع البيان جـ ١٤ ، ص ١٣٩ .

(٢)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ٣٣١ .

(٣)- سورة الأعراف الآية ١٨٦ .

(٤)- سورة الجاثية الآية ٢٣ .

(٥)- حاشية زاده جـ ٥ ، ص ٢٧٢ .

(٦)- الجامع للقرطبي جـ ١٠ ، ص ١٠٤ .

(٧)- الفريد في إعراب القرآن جـ ٣ ، ص ٢٢٦ ، والكشاف جـ ٢ ، ص ٣٢٩ .